

(1)

سمات وسلوك الشخصية الوطنية في ضوء الشرع الحنيف

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم : {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا
وَلَا تَفَرَّقُوا} ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا
عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى
يَوْمِ الدِّينِ .

وبعد :

فإن العلاقة بين الدين والوطن علاقة تكامل ، الدين والوطن لا يتناقضان ، الدين
والوطن يرسخان معاً أسس المواطنة المتكافئة في الحقوق والواجبات ، وأن نعمل معاً
لخير بلدنا وخير الناس أجمعين ، وأن نحب الخير لغيرنا كما نحبه لأنفسنا ، فالأديان
رحمة ، الأديان سماحة ، الأديان إنسانية ، الأديان عطاء .

الدين والدولة يتطلبان منا جميعاً التكافل المجتمعي ، وأن لا يكون بيننا جائع ولا
محروم ولا عارٍ ولا مشرد ولا محتاج .

الدين والدولة يدفعان إلى العمل والإنتاج ، والتميز والإتقان ، ويطاردان البطالة
والكسل ، والإرهاب والإهمال ، والفساد والإفساد ، والتدمير والتخريب ، وإثارة القلاقل
والفتن ، والعمالة والخيانة .

وإن الوطنية الحقيقية ليست مجرد شعارات ترفع أو عبارات تردد ، الوطنية إيمان
وسلوك وعطاء ، الوطنية نظام حياة وإحساس بنبض الوطن وبالتحديات التي تواجهه ،
والتألم لآلامه ، والفرح بتحقيق آماله ، والاستعداد الدائم للتضحية من أجله ، يقول
النبي (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ
شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ) .

(2)

فالشخصية الوطنية هي التي على استعداد لأن تحترق لتنير دروب الوطن ، ولأن تفتديه بنفسها وما تملك ، وتعرف للوطن حقه وقدره ، وتدرك أنها بلا وطن كالسمك بلا ماء ، وكالطائر بلا هواء ، والله در شوقي حيث قال :

بِلَادُ مَا تَفْتِيهَا لِتَحْيَا	وَزَالُوا دُونَ قَوْمِهِمْ لِيَبْقُوا
وَقَفْتُمْ بَيْنَ مَوْتٍ أَوْ حَيَاةٍ	فَإِنْ رُمْتُمْ نَعِيمَ الدَّهْرِ فَاشْتَقُوا
وَلِلْأَوْطَانِ فِي دَمِ كُلِّ حُرٍّ	يَدٌ سَلَفَتْ وَدَيْنٌ مُسْتَحِقُّ
وَمَنْ يَسْقَى وَيَشْرَبُ بِالْمَنَايَا	إِذَا الْأَحْرَارُ لَمْ يُسْقُوا وَيَسْقُوا
وَلَا يَبْنِي الْمَمَالِكَ كَالضَّحَايَا	وَلَا يُدْنِي الْحُقُوقَ وَلَا يُحِقُّ
وَلِلْحُرِّيَّةِ الْحَمْرَاءِ بَابٌ	بِكُلِّ يَدٍ مُضَرَّجَةٍ يُدَقُّ

إن الوطني الحق لا يكذب وطنه ، ولا يخون أهله ، ولا يغشهم ، ولا يخدعهم ، ولا يتآمر عليهم ، ولا يبيع قضاياهم بأي ثمن ، الوطني الحق كالمثقف الحق لا يباع ولا يشتري بالدنيا وما فيها ، فالوطنية الحقيقية بناء لا هدم ، إعمار لا تخريب ، الوطنية الحقيقية هي فن صناعة الحياة وعمارة الكون ، حيث يقول سبحانه : {هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} ، فالوطني الحق يسعى ويكد ويعمل ، ويأخذ بالأسباب ، ولا يركن إلى الخمول والكسل ، قال تعالى : {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} ، فحيث تكون المصلحة ، ويكون البناء والتعمير ، فثم شرع الله وصحيح الإسلام والوطنية الحقيقية، وحيث يكون الهدم والتخريب والدمار فثمة عمل الشيطان وجماعات الفتنة والدمار والخراب .

الوطنية الحقيقية تعني الارتقاء بالوطن من خلال إتقان العمل ، وبذل الجهد لتصحيح الصورة الذهنية للوطن في نفوس أبنائه ، وفي أعين ونفوس الآخرين ؛ لأن الصورة الذهنية لأي شخص أو مجتمع تنعكس سلباً أو إيجاباً على قبوله أو رفضه

(3)

والتعامل معه ، وعلى كل منّا أن يعمل على رسم الصورة الذهنية التي تليق بدينه ووطنه كل في مجاله وميدانه ، من إتقان العمل وتجديده ، ومن تمثيله في الداخل والخارج ، وحسن معاملة السائحين والزائرين ، فالسائح تتكون لديه صورة ذهنية عن الوطن من خلال معاملة أبناء هذا الوطن له من مواقف ربما يراها البعض يسيرة ، ولكنها تترك أثراً مترسخاً ومتجذراً في ذاكرة السائح يحمله معه إلى بلاده ، كحسن استقباله ، أو إنهاء الإجراءات في سهولة ويسر بدءاً من الحصول على إذن الدخول ، ومروراً بفترة إقامته ، ووصولاً إلى لحظة مغادرته .

وقد تتكون الصورة الذهنية لدى السائح بنظرته إلى مستوى النظافة والنظام واللمسات الجمالية والطراز المعماري لدى الشعب المضيف ، وغير ذلك من مظاهر الجمال التي دعا إليها ديننا الحنيف .

ومما لا شك فيه أن الجانب السلوكي من أهم الجوانب المؤثرة في بناء الصور الذهنية ، وقد قالوا : حال رجل في ألف رجل خير من كلام ألف رجل لرجل ، فالناس لا يصدقون الكاذب ، وإن خطب فيهم ألف خطبة وخطبة عن الصدق ، ولا يأتون الخائن أو الغادر وإن أعطاهم ألف عهد وميثاق وحدثهم ألف حديث وحديث عن الأمانة والوفاء ، لذا يجب أن يكون لنا وجه واحد ظاهره كباطنه ، وليس لنا وجهان أحدهما ظاهر والآخر خفي ، إذ يمكن للإنسان أن يخدع بعض الناس لبعض الوقت ، لكن لا يمكن لأي إنسان مهما كان ذكاًؤه ومهما كانت حصافته وحيطته ودهاؤه أن يخدع كل الناس كل الوقت .

إن الوطنية الحقيقية تعني - أيضاً - : احترام وتقدير كل قيم الوطن ، من رفع رايته وعلمه عالياً محلياً ودولياً ، واحترام نشيده الوطني المعبر عن حب الوطن ، وتفعيل المواطنة التي تعني : حسن الولاء والانتماء للوطن ، والحرص على أمنه

(4)

واستقراره ، وتقدمه ، ونهضته ، ورقيه ، كما تعني الالتزام الكامل بالحقوق والواجبات المتكافئة بين أبناء الوطن جميعاً ، دون أي تفرقة على أساس الدين أو اللون أو العرق أو الجنس أو اللغة.

والواقع والمشاهدة يؤكدان أن أكثر الدول إيماناً بمبدأ المواطنة وحرصاً على تطبيقه وأكثرها إيماناً بحق التنوع والاختلاف واعتباره إضافة وتراثاً ؛ هي أكثر الدول أمناً وأماناً واستقراراً وتقدماً وازدهاراً ، كما أن جميع الدول التي وقعت في فخ الاحتراب والافتتال الطائفي أو العرقي أو المذهبي أو القبلي سقطت وتمزقت وهوت وتشرد أبنائها وعانوا الأمرين ، ولم تقم لها ولا لهم قائمة ، لذا كان من أهم أسس ودعائم بناء الدولة في عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، والمعاهدات بين المسلمين وغيرهم من أبناء مجتمع المدينة على اختلاف دياناتهم .

وإننا لتساءل : هل من يسعى للقتل والفساد والتخريب يمكن أن يكون متديناً أو وطنياً؟! هل من يعطل مسيرة التقدم والرقي في وطنه يمكن أن يكون وطنياً أو متديناً؟! هل من يستغل موقع عمله في التربح غير المشروع يمكن أن يكون وطنياً أو متديناً؟! والجواب : لا يمكن أن يكون متديناً ، ولا يمكن أن يكون وطنياً فالمتدين الحقيقي ، والوطني الحقيقي هو من يفتدي وطنه بالغالي والنفيس ، وهل هناك أعلى من الوطن ، ومن أراد أن يدرك قيمة الوطن فليسأل من فقدوا أوطانهم عن ذلك .

ومن أهم سمات الشخصية الوطنية أن تكون إيجابية في حب الخير للناس ونفعهم ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : (ألا أخبركم بخيركم من شركم ؟) قال : فسكتوا ، فقال ذلك ثلاث مرات ، فقال رجل : بلى يا رسول الله ، أخبرنا بخيرنا من شرنا ، قال : (خيركم من يرجي خيره ويؤمن شره ،

(5)

وشركم من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (خير الأصحاب عند الله جل وعز خيرهم لصاحبه ، وخير الجيران عند الله جل وعز خيرهم لجاره) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (من قضى لأحد من أممي حاجة يريد أن يسره بها فقد سرنى ، ومن سرنى فقد سر الله ، ومن سر الله أدخله الله الجنة) .
أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم
* * *

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .
إخوة الإسلام :

إنّ على كل منا واجباً تجاه بناء الشخصية الوطنية يجب علينا أن نقوم به بداية من الأسرة ، فالأب والأم تقع عليهما مسؤولية كبرى في تنشئة أبنائهما تنشئة وطنية حقيقية ، فيغرسان في أبنائهما حب الوطن ، والحفاظ عليه ، والعمل على رقيه وتقدمه، وهما مسئولان بسلوكهما عن أسرتهما أمام الله (عز وجل) ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ؛ فَالِإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) .

كما أن للمسجد دوره المهم في بناء الشخصية الوطنية ؛ ففيه يتعلم المسلم أحكام دينه وواجبه تجاه وطنه ، وفيه يدرك أن مصالح الأوطان لا تنفك عن مقاصد الأديان ، وأن العمل على تقوية شوكة الدولة الوطنية وترسيخ دعائمها مطلب شرعي ووطني ، وأن كل من يعمل على تقويض بنیان الدولة أو تعطيل مسيرتها ، أو تدمير بناها التحتية ، أو ترويع الآمنين بها ، إنما هو مجرم في حق دينه ووطنه معاً ، ومن ثمة فإن دور

(6)

المسجد كبير في نشر صحيح الإسلام ، وتصحيح المفاهيم الخاطئة سواء عن الدين أو الوطن .

كما أن للمدرسة دورها المحوري في بناء الشخصية الوطنية ؛ فالمدرسة تتقاسم مع الأسرة التربوية والتعليم ، وهي أمينة على عقول أبنائنا ، فيجب أن تكون على قدر مهمتها الشريفة وغايتها النبيلة ، وتؤدي مسؤوليتها وواجبها تجاه وطنها ، بحسن غرس العلم في عقول الأطفال ، وتدريبهم عمليا على حب الوطن ، علما وسلوكا وتطبيقا ، وتنشئتهم على القيم النبيلة ومكارم الأخلاق ، والله در شوقي حين قال :

قَدْ يَنْفَعُ الْإِصْلَاحُ وَالتَّهْذِيبُ فِي عَهْدِ الصِّعْرِ

وَالنَّشْءِ إِنْ أَهْمَلْتَهُ طِفْلاً تَعَثَّرَ فِي الْكِبَرِ

وكذلك للجامعة دورها التعليمي والتربوي أيضاً ، فهي تبني على ما تم تأسيسه في الأسرة والمدرسة ، ومرحلتها مرحلة الشباب والقوة ، وبها يبني الوطن ، وفيها تتشكل الشخصية الوطنية ، حين تقوم الجامعة بدورها المهم في حسن بناء هذه الشخصية ، وغرس قيم المواطنة ، وحسن تأهيل الشباب علمياً وثقافياً ، ودفعهم إلى العمل والإنتاج والابتكار ، والاعتماد على قوتهم العلمية والبدنية والذهنية ، والاستفادة من طاقاتهم بما يعود نفعه على أنفسهم ، وعلى وطنهم .

كما أن لأندية الشباب المختلفة دوراً مهماً في بناء الشخصية الوطنية ؛ فهي محل اجتماعهم ، وملقى أنشطتهم ، فينبغي استثمار ذلك ليكون بناءً للروح الرياضية ، وابتعاداً عن التعصب الممقوت ، وغرساً لقيم التعاون ، وبياناً لأهمية روح الفريق الواحد في العمل ، كل ذلك لإعلاء قيمة ومكانة هذ الوطن الذي يجمعنا ، ونستمتع بمقدراته ، ونحيا جميعاً في رحابه ، إلى جانب ما سبق فإن للكلمة دورها النافذ الذي لا ينكر ، والذي يؤثر سلباً أو إيجاباً .

(7)

فعلى المفكرين والكتاب والإعلاميين دور مهم فى بناء الشخصية الوطنية الإيجابية، فهم يسهمون بقوة فى تشكيل وعى المجتمع ، وتقع علينا جميعا كل فى مجاله وميدانه مسؤولية كبرى أمام الله وأمام الوطن ، نسال الله العلي العظيم أن يوفقنا للقيام بحقها ؛ خدمة لديننا ووطننا .

**اللهم أصلح أحوالنا ، واحفظ علينا ديننا وأوطاننا ،
وأعنا على القيام بواجبنا تجاه ديننا ووطننا .**